وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء ٩/١٠/٧٣ قسام اللـواء ١٩٠ المدرع الاسرائيلي بهجوم على مواقع الفرقة الثانية المشاه بقيادة العميد « حسن أبو سعده » التابعة للجيش الثاني على المحور الاوسط (كان الجيش الثاني يضـم ٣ فرق مشـاة ويعمل في القطاع الاوسط الواقع بين شمال البحيرات المرة عند « الدفرسوار » حتى القنطرة شمالا وهي من الجنوب الى الشمال الفرق ١٦ ، ٢ ، ١٨) وقد وقع اللـواء المدرع المذكور في كمين ضخم من جنود المشاة المخندقين في حفر صغيرة اطلقوا منهـا قذائف « الآر بي جي ٧ » وصواريخ « ساغر » من مسافات قريبة عـلى الدبابـات الاسرائيلية المتقدمة بأقصى سرعة (دون تمهيد من المدفعية) ، وترتـب على ذلـك « تدمير ٨٣ دبابة في ٣ دقائق »(٢٥) ؛ وهو انجاز عسكري في الدفاع المضاد للدبـابات لم يسبق له مثيل في التاريخ العسكري كله .

كما صد الجيش الثالث (الذي كان يضم وقتئذ فرقتي المشاة ١٧ ، ١٩ ويعمـل في القطاع الممتد من جنوب البحيرات المرة حتى السويس) هجمات مضادة اخرى شنتها قوة مؤلفة من لواء مدرع وكتيبتي دبابات ، وكبدتها خسائر فادحة . « وادركت القيادة العسكرية العليا للجيش الاسرائيلي بأن الهجمـات المضـادة ستبقى تسبب سحـق الدبابات الاسرائيلية فقط . دون ان تؤدي الى النتائج المرجوة ، وعندئذ اعطيت الاوامر بالتمركز في منطقة تبعد ١٠ — ١٥ كلم عن القناة »(٢٦).

وازاء الحاح الجنرال « شارون » بضرورة الاسراع في هجوم مضاد اخر اعطيـت اوامر بالقيام بهجمات محلية صغيرة مع البقاء في المكان نفسه والتحرك يمينا ويسارا ، وفي تلك المعارك الصغيرة اشتبكت مرارا ٥٠ دبابة و ١٠٠ دبابة احيانا مع اعـداد مقابلة من الدبابات المصرية « ودارت المعارك احيانا ضمن مدى احتكـاك فوهـات المدافع . لقد بقيت في ارض المعركة دبابات محروقة من كلا الطرفين ، على بعد — ١٠ — ٥٠ مترا » ... « وكانت هذه الحرب الاولى التي تراجعت فيها الدبابات الاسرائيلية الى الوراء ، وبقيت دبابات في أرض العدو ، وفي داخلها قتلى وجرحى ، دون أن يكون في الامكان انقاذهم ، واصيبت اخرى بالصواريخ واشتعلت ، وقتل افراد الطاقم الذين قفزوا من داخلها او وقعوا في أيدي المشاة المصريين المهاجمين »(٢٧).

وهكذا أدى تطبيق تكتيك « الفرسان الخفيفة » الـذي تعـودت عليه المدرعـات الاسرائيلية الى فشل ذريع في سلسلة الهجمات المعاكسة الاولى نتج عنه تدمير واصابة نحو ٤٠٠ دبابة خلال الاربعة ايام الاولى من القتال ، ولكن الاستراتيجية العسكريـة المصرية ، المقيدة باعتبارات الخطة العامة الموضوعة مسبقـا ، لم تستثمـر هـذه النجاحات التكتيكية الضخمة ، ولم تطور هجوم مدرعاتها بسرعة لتصفية بقايا الالوية المدرعة الاسرائيلية المنهكة ، وآثرت التريث لتعزيز رؤوس الجسور وربطها ببعضها .

الهجوم الاسرائيلي المضاد : ونتيجة للموقف المصري أمكن للقيادة الاسرائيلية أن تحشد مزيدا من قوات الاحتياطي وتعيد تنظيم وتسليح الالوية التي أصيبت بخسائر فادحة بحيث أصبح لديها يوم ١٥/١٠ نحو ٦ الوية مدرعة ، ولواءان ميكانيكيان ، ولواء مشاة ، وبعض الكتائب المستقلة من الدبابات والمشاة والمدفعية ، وساعدها على ذلك بدء وصول الاسلحة الامريكية الجديدة بواسطة طائرات النقـل الضخمة التي كانت بعضها تفرغ حمولتها في مطار العريش مباشرة . ولذلك واجه الهجوم المصري الذي جرى يوم ١٤/١٠ قوات قوية متأهبة لصده والانتقال مباشرة الى مرحلـة الهجوم المضاد ، ولما كانت الخبرة الجديدة قد أثبتت ان « كلا من الطرفين غير قادر على اختراق الدفاعات المنظمة بواسطة الدبابات، حتى لو استخدمت أعداد ضخمة للغاية منها »(٢٨) فقد عمدت القيادة الاسرائيلية الى محاولة تطبيق استراتيجيتها المفضلة في « الاقتراب